

مُصَنَّفَاتُ

إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ

لفضيلة الشيخ / مُطَلَقُ الْجَاسِرِ



الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد ...

✧ نبدأ بمشيئة الله تعالى في هذه الكلمة التي ابتدأها بشكر الأخوة الكرام والأخوات الكرييات في إدارة التوجيه الفني في مقرر أو مادة التفسير في إدارة الدراسات الإسلامية، في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

👈 وحديثي في هذه الأمسية أو هذه الكلمة، سيكون عن كتب إعجاز القرآن الكريم؛ لمحات سريعة وموجزة عن كتب إعجاز القرآن الكريم.

لا شك أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا وأيده بآية تدلُّ على نبوته ورسالته، وقد أشار النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى هذا المعنى فيما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « ما من نبيٍّ من الأنبياءِ إلا وأوتيَ ما على مثله آمنَ البشر، وكان الذي أوتيتهُ **وحيًا أو حاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يومَ القيامةِ**».

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الآية الكبرى والمعجزة العظيمة للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هي هذا القرآن الكريم.



★ لذلك كانت مهمة الدعوة إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ينبغي أن تكون في دعوة غير المسلمين، وفي تثبيت إيمان المؤمنين هي إبراز هذا الإعجاز في كتاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولذلك لا شك أن هذا موضوع متشعب جداً وواسع، ولا يمكن أن يُتناوَل في دقائق، لكن في هذه المحاضرة ستكون تعريفية بأهم وأبرز كتب إعجاز القرآن الكريم، أو نستطيع أن نقول: التسلسل التاريخي في التأليف أو أفراد الإعجاز إعجاز القرآن الكريم بالتأريخ؛ حتى يكون بوابة لمن أراد الاستزادة ولمن أراد التوسع في مثل هذا الموضوع.

سأتجاوز تعريفات لضيق الوقت؛ تعريف الإعجاز، وتعريف وجوه الإعجاز إلى آخره، فإنها سهلة المأخذ يستطيع طالب العلم أن يحصل عليها، **وسأدخل مباشرة إلى الكتب التي أولفت في إعجاز القرآن الكريم، يمكن أن نقسم مراحل تأليف العلماء في الإعجاز إلى مرحلتين:**

✽ **مرحلة:** كانت فيها إشارات إلى مسائل الإعجاز القرآن الكريم، ولم تكن مفردة بالتأليف والتصنيع، ويوجد هذا الأمر فيمن ألف في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، **وذلك في كتابات كل من:**

١- الإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧، وقيل: ٢١٥، في كتابه [معاني القرآن]، فقد ضمّن الفراء أبو زكريا الفراء في كتابه هذا مباحث كثيرة جداً تتعلق بإعجاز القرآن الكريم.

٢- ثم جاء كذلك متزامناً معه الإمام أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي في هذا الكتاب؛ كتاب [مجاز القرآن الكريم]، وقد ضمّن هذا الكتاب النفيس - وهو مطبوع في مجلدين - إشارات كثيرة تتعلق بإعجاز القرآن الكريم، لا سيما عندما تكلم عما أسماه مجاز القرآن.



❖ ثم بعد ذلك جاءت الطفرة في التأليف أو تركيز العلماء والكتاب في ذلك الوقت على مسألة الإعجاز؛ لما نبتت نوابت الزنادقة؛ في أواخر القرن الثاني وأواخر القرن الثالث الهجري، فظهر عبد الكريم بن أبي العوجاء، وظهر أبو علي الزنديق، وظهر ابن الراوندي، فانتفض للرد عليهم جملة من الناس كان في مقدمتهم المعتزلة.

❖ لذلك كان من أول مَنْ أفرَد كتابًا في إعجاز القرآن الكريم؛ كما نصَّ على ذلك الشيخ محمود شاكر -رَحِمَهُ اللهُ-، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥، وهو من رؤوس المعتزلة -كما هو معلوم- في كتابه الَّذِي سَمَاهُ [نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان].

❖ لكن قبل الجاحظ كان صاحبه وشيخه الشهير أبو إسحاق النظام؛ إبراهيم بن سيار النظام، النظام هذا متوفى سنة ٢٣١، وهو من رؤوس المعتزلة كذلك، كان تكلم عن إعجاز القرآن، وأسهب فيه ولكن لم يُعَرَفْ لَهُ مؤلف مستقل في إعجاز القرآن، لكن وُجِدَ كلامه منشورًا هنا وهناك في كتب المعتزلة، وهو صاحب النظرية الشهيرة في إعجاز القرآن الَّتِي تُسَمَّى (نظرية الصرفة).

❖ والتي ملخصها: أَنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد صرف همم العرب في عهد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وسلبهم القدرة على معارضة القرآن الكريم والإتيان بمثله، ولكن الشنيع في كلام النظام هذا أنه قال: أَنَّ هذا الكلام -كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في القرآن- يستطيع العرب أن يأتوا بمثله، لولا أَنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** صرفهم عن ذلك، ولا شكَّ أَنَّ هذا كلام شنيع جدًا.

❖ لذلك لم يوافق على هذا الكلام، ورُدَّ عليه، وكان ممن رَدَّ عليه أصحابه، ومنهم الجاحظ، فقد ألف كتابًا في رد هذا الأمر، ولعل كتاب [نظم القرآن] وهو مفقود بالمناسبة، لكنه أشار إليه فيما طُبِعَ من رسائله، وهناك الشيخ عبد السلام هارون -رَحِمَهُ اللهُ- قد طبع رسائل الجاحظ:



١- وكان من ضمنها رسالة بعنوان [حُجج النبوة]، ومن المجلد الثالث من مجموع الرسائل الَّتِي طُبعت بتحقيق الشيخ عبد السلام هارون، وفيها فوائد هذه الرسالة.

٢- وتتبعها رسالة كذلك بعنوان [خلق القرآن].

★ **تكلّم في هاتين الرسالتين عن نبذ من إعجاز القرآن، وردّ على النظام في قوله بالصرفة،** ويمكن يُستفاد من كلامه في قضية إعجاز القرآن من هذين الرسالتين، وأشار في كتابه هذا أو في رسالته هذه إلى تلك الرسالة الَّتِي قال عنها الشيخ محمود شاكر -رَحِمَهُ اللهُ- إنها أول مُصنّف في إعجاز القرآن؛ وهي رسالة [نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان]، وهذا مع الأسف -كما قلنا- مفقود، ولكن أطلع على هذا الكتاب مَنْ أتى بعد الجاحظ؛ كالباقلي، وغيره ونقلوا منه، ولكنه فُقد بعد ذلك.

✧ **فإذًا: أول مَنْ أفرد كتابًا أو مُصنّفًا في إعجاز القرآن هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي،** لكن وُجد في زمنه كذلك من العلماء مَنْ تكلّم في إعجاز القرآن وليس من المعتزلة، ومن أشهرهم: الإمام ابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦، في كتابه [تأويل مشكل القرآن]، وله كتاب آخر أيضًا [غريب القرآن] تناول في هذين الكتابين إشارات لا بأس بها تدلُّ على إعجاز القرآن.

✎ **فأفرد مثلاً باب ما أدعي على القرآن من اللحن، وكأنه هنا يرد على الزنادقة الَّذِينَ نبتوا في زمانهم،** وبدأوا يطعنون في كتاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنّ فيه أخطاءً، وأنّ فيه كذا وكذا، فكان ممن ردّ عليهم الإمام ابن قتيبة -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الكتاب [تأويل مشكل القرآن]، ويمكن أن يُصنّف هذا الكتاب أو كثير من مباحث هذا الكتاب على أنه مؤلف في إعجاز القرآن، ولكن لا يمكن أن نعتبره مؤلفاً مستقلاً منفصلاً في إعجاز القرآن الكريم.



❖ **إِذَا: أَوَّل مَنْ أَفْرَدَ المَرِحَلَةَ الأَوَّلَى؛ وَهِيَ مَرِحَلَةُ الإِشَارَاتِ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ تَنَاوَلَتْ كِتَابَ [مَجَازِ القُرْآنِ] لِمَعْمَرِ بْنِ المَثْنَى، بَعْضُ الكَلَامِ المَوْجُودِ فِي كَلَامِ النِّظَامِ المَعْتَزَلِيِّ فِي بَعْضِ الكُتُبِ، ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ [تَأْوِيلَ مَشْكَالِ القُرْآنِ] إِلَى آخِرِهِ.**

◀ **أَمَّا أَوَّل مَنْ أَفْرَدَ كِتَابًا أَوْ مَصْنُفًا مَسْتَقِلًّا فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ -كَمَا قَلْنَا- هُوَ كِتَابُ الجَاحِظِ [نِظْمِ القُرْآنِ].**

◀ **ثَانِي كِتَابٍ أَفْرَدَ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ هُوَ كِتَابُ بَهَذَا الأِسْمِ: [إِعْجَازِ القُرْآنِ]، هُوَ أَوَّل مَنْ أَطْلَقَ كَلِمَةَ إِعْجَازِ القُرْآنِ عَلَى اسْمِ مُصْنَفٍ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدِ الوَاسِطِيِّ المَعْتَزَلِيُّ، المِتُوفَى سَنَةَ ٣٠٦، وَهَذَا الكِتَابُ أَيْضًا مَفْقُودٌ غَيْرٌ مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّهُ أَطْلَعَ عَلَيْهِ العُلَمَاءُ فِي زَمَانِهِ، بَلْ يُقَالُ: إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدِ القَاهِرِ الجِرْجَانِيَّ شَرَحَهُ صَاحِبُ [دَلَائِلِ الإِعْجَازِ] الَّذِي سَنَأْتِي عَلَيْهِ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَنَقَلَ عَنْهُ مَنْ أَتَى بَعْدَ الوَاسِطِيِّ، وَلَكِنَّهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا مَفْقُودٌ غَيْرٌ مَوْجُودٌ.**

◀ **ثَالِثُ كِتَابٍ أَتَى أَوْ أَفْرَدَ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ هُوَ كِتَابُ [النِّكْتِ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ]، لِأَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى الرُّمَانِيِّ المَعْتَزَلِيِّ أَيْضًا، المِتُوفَى سَنَةَ ٣٨٦، وَهَذَا الكِتَابُ مَطْبُوعٌ، وَهُوَ أَقْدَمُ كِتَابٍ أَفْرَدَ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ مَطْبُوعٌ وَمَوْجُودٌ بَيْنَ أَيْدِينَا هُوَ هَذَا الكِتَابُ [النِّكْتِ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ] لِأَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى الرُّمَانِيِّ.**

طُبِعَ فِي هَذَا الكِتَابِ ثَلَاثَ رِسَائِلَ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ؛ تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ خَلْفِ اللَّهِ أَحْمَدَ وَالدُّكْتُورَ مُحَمَّدَ زَغَلُولَ سَلَامَ فِي طَبْعَةِ دَارِ المَعَارِفِ الشَّهِيرَةِ فِي مِصْرَ، وَهَذَا الكِتَابُ -كَمَا قَلْنَا- مَخْتَصَرٌ وَتَنَاوَلَ فِي مَقْدَمَتِهِ سَبْعَةَ أَوْجِهَ لِإِعْجَازِ القُرْآنِ، وَأَشَارَ إِلَى الصَّرْفَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِكَلَامٍ مِشَابِهِ لِكَلَامِ النِّظَامِ، وَإِنَّمَا كَلَامٌ آخَرٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَعَانِي مُخْتَلِفَةٌ لِمَفْهُومِ الصَّرْفَةِ غَيْرِ الَّذِي أَتَى بِهِ النِّظَامُ.



✳ لذلك استشكل الشيخ فضل عباس كتابه [إعجاز القرآن] تفاوت المعتزلة في مفهوم الصرفة، حيث إن أتوا بهذا المفهوم وجعلوه بأنه أوجه إعجاز القرآن، ولكنه في نفس الوقت تكلموا عن بلاغة القرآن، وهذا نوعٌ من التناقض؛ لأنَّ النظام لما أتى بالصرفة لم يجعل بلاغة القرآن وجهًا من وجوه الإعجاز، وإنما جعل الإعجاز فقط في الإعجاز التاريخي، وهي القصص أو الأحداث التي يذكرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في القرآن، ثم تأتي على ما ذكر سبحانه.

مثل: قوله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ٢]، فقط هذا وجه الإعجاز عند النظام المعتزلي، وقال: أمَّا عدم معارضة العرب له فإنما هو من الصرفة؛ والنطق الصحيح الصرفة بالفتح وليس الصرفة، بمعنى الصرف؛ أن الله صرفهم وسلبهم قوة المعارضة.

✳ لكن الغريب أن الرُّماني جعل الصرفة من وجوه الإعجاز، وفي نفس الوقت تكلم عن بلاغة القرآن وأنه معجزٌ في بلاغته، وهذا تناقض لا يمكن أن يفهم إلا إذا صرفنا المعنى الذي يقصده الرُّماني في كلمة الصرفة عن المعنى الذي يقصده النظام في هذه الكلمة.

♦ وعلى كل حال: هي رسالة مختصرة نقل عنها من أتى بعده، هذه الرسالة التي في التسلسل التاريخي في كتب ورسائل إعجاز القرآن الكريم.

✳ الرسالة الرابعة هي: رسالة عظيمة ونافعة جدًا، اسمها [بيان إعجاز القرآن] للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨ وهو ليس من المعتزلة، هذه الرسالة [بيان إعجاز القرآن الكريم] رسالة نفيسة جدًا ونافعة على وجازتها واختصارها، وطبعًا الخطابي توفي سنة ٣٨٨ فهو متقدم.



❁ **ووجه نفاسة هذه الرسالة:**

❁ **أولاً:** أن المؤلف يروي الروايات فيها بالأسانيد، فإذا ذكر رواية أو حديثاً عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أو أثرًا عن الصحابة يرويه بالأسانيد.

❁ **ثانياً:** أنه انتقض الصرّفة التي أتى بها النظام، ويّين بطلانها.

❁ **ثالثاً:** أنه أتى بوجه جديد لم يسبق إليه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ وهو ما يُسمّى بـ "الإعجاز التأثيري"، ما معنى الإعجاز التأثيري؟ الإعجاز التأثيري لعنا نقرأ كلام الخطابي نفسه حتى نفهم معنى هذا الكلام.

❁ **يقول الخطابي -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الرسالة:** (قلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتاعةً قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق)، إلى آخر كلامه.

❁ **من خلاصة الكلام:** أن من أوجه إعجاز القرآن هو ذلك التأثير العجيب الذي يأتي على النفس البشرية؛ حتى لو لم تكن تستوعب اللغة العربية، وهناك شواهد كثيرة جداً لهذا الأمر، والإمام الخطابي هو أول من أشار إلى هذا المعنى، ودوّنه في هذا الكتاب، **وطُبعت رسالة الخطابي عدة طبعات:**

❁ **منها:** طبعة ضمن هذا المجموع؛ وهو ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

❁ **وطبعة** طُبِع كذلك بتحقيق عبد الله بن صديق الغماري قديماً في المغرب.



✽ **عدة طبعات.**

✽ **لعل من أنفس الطبقات هي هذه الطبعة؛ طبعة تحقيق الدكتور يوسف العليوي في دار التوحيد للنشر في الرياض، وبالمناسبة قد شرح هذه الرسالة الدكتور عبد المحسن العسكر في دروس صوتية موجودة في اليوتيوب نافعة ومفيدة، وطبعًا من مزايا هذه الرسالة كذلك حتى لا نغفلها: أنه أجاب عن شبهات في قضية إعجاز القرآن لا زلنا نسمعها اليوم من بعض الشباب؛ مثل: قضية ما يدرىكم لعلكم عارضوه ولم يبلغنا، هذه سمعتها أنا شخصيًا من عدد من الشباب، لما نقول: أن القرآن الكريم والعرب قد عجزت عن الإتيان بمثله، فيقولون: أيش دراكم؟ يمكن استطاعوا أن يعارضوا القرآن ولكن لم يصل.**

ذكر هذه الشبهة بعينها الخطابي في هذه الرسالة، وأجاب عنها جوابًا مفيدًا جدًا، خلاصته: من عدة وجوه:

✽ **الوجه الأول:** أن العاقل لا يذهب إلى القتال، ويريق دمه، في حين أنه يستطيع أن ينهي الموضوع بالمعارضة، فهؤلاء العرب قد تحداهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو أتوا بمثل هذا القرآن فعلاً؛ لكفوا أنفسهم مؤونة القتال، ومؤونة الحرب، ومؤونة إزهاق الأنفس والأرواح، فهم أتوا بمثل هذا القرآن وانتهى الموضوع، تبين كذب النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وحاشاه وكفوا المؤونة، ولكنهم لجأوا إلى الحرب، وهذا دليل على عدم قدرتهم على المعارضة.



★ **الوجه الثاني في الرد:** أن معارضة القرآن الكريم في قضية مصيرية مشتهرة قد انتشرت في ذلك الزمان انتشارًا كبيرًا جدًا وعظيمًا، إذ عارضها أحد معارضة حقيقية، فلا يمكن لهذه القضية إلا أن تشتهر، لا يمكن قضية مثل هذه شهيرة أو عظيمة أو ذات أثر كبير، ثم يتكاتم الناس عليها، هذا مستحيل، ما يمكن، ممكن الناس يتكاثمون على قضية صغيرة؛ لو سرق شخص محل ممكن الناس يتكاثمون هذا الأمر، لكن إبطال دين بمعارضة كتاب بالقرآن إبطال دين بشكل عام هذه قضية كبرى أكبر من أن يستطيع بشر أن يكتمها، فلما لم يصلنا شيء دل ذلك على عدم وقوعه.

★ **الوجه الثالث وهذا مني:** الرد الثالث أن الأصل انعدم، وأن الذي يقول: أن هناك من عارض القرآن عليه أن يأتي بالدليل.

★ **الرسالة الخامسة التي يُستفاد منها كذلك في إعجاز القرآن؛** وهي حسب ما وصلتنا من رسائل إعجاز القرآن الكريم هو كتاب عظيم ومفيد جدًا، كتاب [إعجاز القرآن] لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، المتوفى سنة ٤٠٣، وهذا الكتاب كتاب جدًا مهم ونفيس، وقال الشيخ محمود شاكر عنه: (قد ألف القاضي الباقلائي كتابًا جليل القدر فريدًا، دال على أنه كان قد اطلع على جميع من كتب من سبقه منذ عهد أبي عثمان الجاحظ) إلى آخر كلامه، وأثنى عليه ثناءً عاطفًا.

☆ وطبعًا كتاب [إعجاز القرآن] للباقلاني تناول فيه [إعجاز القرآن] عدة أوجه:

✽ **أولاً:** من وجوه الإخبار عن الغيوب المستقبلية منها والماضية.

✽ **ثانيًا:** كذلك من وجه الإعجاز البلاغي، وهو لب هذا الكتاب، وتنازل فيه جملة كبيرة جدًا مما يدل على بلاغة القرآن، ويدل على فضل القرآن على غيره من الكلام.



ثم بعد ذلك من الكتب التي يمكن أن يُستفاد منها في قضية إعجاز القرآن والردّ على الشبهات المثار فيه، ولو اختلفنا طبعًا، مَنْ ذكرناهم قبل قليل قد نختلف معهم في كثيرٍ من القضايا، لكن لا يعني ذلك ألا يُستفاد من كلامهم فيما أصابوا فيه الحق؛ ومن هؤلاء الَّذِينَ يمكن أن يُستفاد منهم القاضي عبد الجبار المعتزلي.

القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ هـ، طبعًا هو من رؤوس المعتزلة ومن كبارهم، كان له عناية أيضًا في قضية إعجاز القرآن، وفي كتابه [المغني] أفرد فصلًا كاملًا عن إعجاز القرآن، وقد طبعه أبو عاصم بشير المالكي في هذا المجموع، هذا مجموع في اثنا عشر رسالة في إعجاز القرآن، يستل من الكتب الكبيرة الفصول المتعلقة بالإعجاز، وأورد هنا ما ذكره القاضي عبد الجبار في كتابه [المغني]، وهو من الكتب الكبيرة في مذهب المعتزلة، تكلم فيه عن إعجاز القرآن.

كما أن للقاضي عبد الجبار أيضًا كتاب آخر، وهو كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن، وأتى إلى ما يُثار وما يثيره الزنادقة في وقته والملاحدة وغيرهم عن القرآن الكريم من إشكالات، وبدأ يجيب عنه واحدًا واحدًا على ترتيب المصحف في هذا الكتاب.

﴿فِيُستفاد منه على حذر طبعًا المعتزلة لا شك أنهم من أهل البدع، وعندهم ضلالات كبيرة وكثيرة جدًا، ولكن لا يعني ذلك ألا يستفيد منهم طالب العلم المتمكن والمتخصص والمأمون الجانب من جهة العقيدة، فيأخذ من كلامهم ما يُستفاد منه.﴾



ومن كتب القاضي عبد الجبار كذلك المهمة والمفيدة؛ كتاب **[تثبيت دلائل النبوة]**، وهذا الكتاب فيه نفائس حتى أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، وأثنى عليه جمع من أهل العلم، ولكن يُستفاد منه على حذر؛ **لأنه معتزلي -كما قلنا-**، ولكن فيه إشارات ممكن أن يُستفاد منها في الجدل الإلحادي المعاصر، كثير مما ذكره في كتابه **[تثبيت دلائل النبوة]** في تنزيه القرآن عن المطاعن وفي غيره نسّمعه اليوم من الشباب، نفس الكلام تقريباً نسّمعه اليوم من زنادقة هذا العصر.

من الكتب كذلك التي تكلمت عن إعجاز القرآن الكريم، وهذا الكتاب السابع -إن صحَّ التعبير مما أفرد في الإعجاز- كتاب **[إثبات نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]** لأبي الحسن أحمد بن الحسين الهاروني الزيدي، هذا من الزيدية، متوفى سنة ٤٢١، وهو إن سمي **[إثبات نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]**، ولكنه في حقيقته في إعجاز القرآن:

★ **فالباب الأول ثلاثة أرباع بل أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب؛** هو عن إعجاز القرآن، وأسهب فيه وتكلم فيه بكلام أيضاً يُستفاد منه مع الحذر منه؛ **لأنه أيضاً من أهل البدع، فهو من الزيدية.**

من الكتب المهمة جداً في إعجاز القرآن الكريم، وتعتبر مفصلية في هذا الباب، ونقلت هذا العلم نقلة كبيرة كتاب **[دلائل الإعجاز]**، وهذا الكتاب الثامن مما أفرد في الإعجاز **[دلائل الإعجاز]** للشيخ أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وهذا الكتاب مما أعطاه ميزة أكبر اعتناء الشيخ محمود شاكر -رَحِمَهُ اللهُ- به عناية فائقة، **وألحق به رسالة أخرى للجرجاني أيضاً اسمها [الرسالة الشافية في إعجاز القرآن]**، تناول في هذه الرسالة قضية الصرفة، ونقدها وردَّ عليها.



أما [دلائل الإعجاز] فهو كتاب مهم ونفيس، ووضع أسس -إن صحَّ التعبير- ومبادئ مهمة جداً فيما يتعلّق بعلم البلاغة بشكلٍ عام، والبلاغة القرآنية بشكلٍ خالص، فلذلك يُستفاد منه، و [الرسالة الشافية] طُبعت مفردة كذلك، وهي ملحقة بكتاب [دلائل الإعجاز]، كما أنها طُبعت في الكتاب الَّذِي اطلعنا عليه قبل قليل كتاب [ثلاث رسائل في إعجاز القرآن].

✧ كذلك من الكتب في إعجاز القرآن مما يأتي في المرحلة التاريخية بعد هؤلاء؛ كتاب [البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن] لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، المتوفى سنة ٦٥١، وهو غير الزملكاني المعاصر لشيخ الإسلام ابن تيمية بل هذا جدّه، فهذا كمال الدين الزملكاني له كتابان في إعجاز القرآن:

★ الكتاب الأول: اسمه [التبيان في علم البيان المُطَّلَع على إعجاز القرآن]، وهو عبارة عن اختصار وتهذيب لكتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني.

★ الكتاب الثاني: ثم أَلَفَ بعده كتاب [البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن]، وهو في الحقيقة لا يختلف كثيراً عن كتابه [التبيان في إعجاز القرآن الكريم].

هذه بالنسبة لأبرز الكتب الَّتِي أُلِّفت في القرون السبعة الأولى أو الستة الأولى في إعجاز القرآن، ثم بعد ذلك أُلِّفت كتب كثيرة إلى عهدنا هذا وإلى عصرنا هذا فيما يتعلّق بإعجاز القرآن، لكن قبل أن أتكلّم عن عصرنا هذا، سنتكلّم عن كلام أهل العلم من أين نجد، كلام أهل العلم كذلك في قضية إعجاز القرآن في غير الكتب الَّتِي أفردوها لإعجاز القرآن.



❖ **هناك طبعًا جهود معاصرة مشكورة**، مثل هذا الكتاب جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يتعلق بإعجاز القرآن، وهو كتاب [إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية]، مع المقارنة بكتاب [إعجاز القرآن] للباقلاني للدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي، وهو كتاب نفيس؛ لأنه جمع كلام شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- المتناثر في قضية إعجاز القرآن، ورتبه وجمعه في هذا الكتاب، فهو كتاب قيم جمع لنا كلام شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه القضية.

كذلك من الكتب التي لم تُفرد وإنما ذُكرت في ضمن كتب إعجاز القرآن، أو أفرد فيها فصولاً عن إعجاز القرآن كتاب [الشفاء] للقاضي عياض -رَحِمَهُ اللهُ-، وهو كتاب مشهور، والقاضي عياض -كما تعلمون- توفي سنة ٥٤٤ هـ، فقد أفرد الباب الرابع في هذا الكتاب عن القرآن الكريم، [الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المعجزات، وشرفه به من الخصائص والكرامات]، وله كلامٌ جيد لمن أراد الاستفادة في قضية إعجاز القرآن الكريم يجدها في هذا الكتاب.

كما أن الإمام القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ- صاحب التفسير الشهير، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في كتابه [التفسير الجامع لأحكام القرآن] في مقدمته تكلم عن إعجاز القرآن الكريم في فصل جيد لا بأس به فيه فوائد تتعلق بإعجاز القرآن الكريم.

نختم بكتابين:

❖ كتاب [الإتقان] للسيوطي -رَحِمَهُ اللهُ-، والسيوطي له جهود في إعجاز القرآن، منها: [كتاب الإتقان في علوم القرآن]، وهو كتاب واسع وكبير، أفرد فيه جزء عن إعجاز القرآن.



✽ كما أنَّ له كتابًا مفردًا في إعجاز القرآن اسمه [معتك الأقران في إعجاز القرآن]، وهو في الحقيقة وإن كان إعجازًا لكنه هو نوع أظنه تفسير، جمع كثيرًا من الأقوال؛ من تفسير الصحابة، وتفسير غريب القرآن، وتكلم عن أشياء كثيرة فيها فوائد تتعلّق بإعجاز القرآن، لكنه ليس مفردًا في إعجاز القرآن الكريم، بالإضافة إلى كتاب [البرهان] في علوم القرآن للزرکشي.

هذه لمحة سريعة وموجزة عن كتب إعجاز القرآن الكريم، ولعلي أختتم حتى إن شاء الله سيكون معقبًا كريمًا على هذه الكلمة المتواضعة فضيلة الشيخ الدكتور/ مشعل الحداري -حفظه الله- سيعقب على هذه الكلمة، لكن قبل أن أترك المجال للشيخ -حفظه الله-، أتكلّم عن الإعجاز في عصرنا هذا، وإن كان هذا الموضوع يحتاج إلى كلام مستقل ومنفصل، ولكن الذي أريد أن أقوله:

أنَّ هناك جهود لا بأس بها في بيان إعجاز القرآن الكريم، ابتدأت في القرن الماضي، وكانت هناك قضية ربما حركت عند العلماء في ذلك القرن الكتابة في إعجاز القرآن، وهي قضية الشعر الجاهلي، قضية الشعر الجاهلي التي أوقد شرارتها المستشرق مرجليوث Margoliouth، وأعلن رايتها ورفع رايتها طع حسين في كتابه في [الشعر الجاهلي]، والتي خلاصتها: التشكيك في قضية الشعر الجاهلي، والتشكيك فيما نُقل إلينا من العرب من الشعر.

✽ وبناءً على هذا التشكيك: لا يمكن أن نقيس بلاغة القرآن؛ لأنَّ هذا الشعر أصلًا شعرٌ منحول غير ثابت لهؤلاء العرب، هذه باختصار هذه القضية، فأثارت هذه القضية جدلاً كبيرًا وواسعًا، وقام أبطال من العلماء في الرد على هذه المقالة وتفنيدها:

✽ من أبرزهم: الشيخ محمود شاكر -رَحِمَهُ اللهُ-، فقد كانت هذه المقالة هاجسًا عنده.



★ **كذلك:** الشيخ مصطفى صادق الرافعي في كتابه [تحت راية القرآن]، وكتابه الآخر [إعجاز القرآن والبلاغة النبوية]، وهما في الحقيقة كتابان إفران من قضية الشعر الجاهلي والتشكيك الَّذِي فِيهِ، فأراد أن يثبت من خلال هذين الكتابين إعجاز القرآن الكريم، فهذه جهود مشكورة.

✪ **وهناك أيضًا جانب آخر من جوانب الإعجاز؛ وهو جانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:** وهذا جانب متشعب يحتاج إلى إفراد في الكلام، شابه كثير من الاختلال وكثير من التكلف، والدكتور مساعد الطيار -حفظه الله- له كتاب قيم، أنصح بالرجوع إليه هنا في هذه المناسبة، وهو كتاب [الإعجاز العلمي إلى أين]، وذكر أنه لم ينف الإعجاز العلمي بشكل كامل، وإنما أراد أن يكون هذا الإعجاز مقننًا بضوابط محددة.

لا زال في الجُعبَة الكثيرة، وهناك كثير من الكتب وكثير من الكلام أردت أن أقوله، ولكن الوقت قد أزف، ولعلي قد أكون أوقدت شرارة البحث والرغبة في البحث عند مَنْ شَدَّه هذا الموضوع أو أراد التوسع فيه، لعلي فتحت له بعض الأبواب الَّتِي يستطيع من خلالها أن يلج إلى هذا الموضوع، مع اعترافي بالتقصير في هذا الباب، ولكن حسبي أنني أعرض ما عندي كمفاتيح يستطيع الإنسان من خلالها أن يلج في هذا الباب، وهذا ما أردت قوله، والآن يسعدني ويشرفني أن يعقب على هذا الكلام فضيلة الشيخ الدكتور مشعل الحداري، فليتفضل مأجورًا مشكورًا.



★ ودي قبل أن نختم فقد يسأل بعض الأخوة: بإذا تنصحوننا أن نقرأ فيما يتعلّق في كتب إعجاز القرآن، لا سيما لغير المتخصص؟

فمن وجهة نظري:

- ١- أرشح من الكتب التي لم يتسع الوقت لبيانها رغم فضلها وعظم شأنها كتاب [النبا العظيم]، كتاب [النبا العظيم] نظراتٌ جديدة في القرآن للشيخ محمد عبد الله دراز، من الكتب النفيسة والقيمة والتي يصلح بإذن الله أن تُقرأ حتى من صاحب الثقافة الذي قد لا يكون متخصصاً في الشريعة، أو ليس من طلاب العلم المتخصصين في الشريعة، فهذا الكتاب بإذن الله **عَرَّوَجَلَّ** إن شاء الله مفيد ومغني في ذلك.
- ٢- بالإضافة إلى الرسالة التي تفضّل فضيلة الشيخ ببيانها، وهي رسالة الخطابي، كذلك ممكن أن تُقرأ بعد كتاب [النبا العظيم]، وكما قلت لها شرح للدكتور عبد المحسن العسكر.
- ٣- كذلك [مقدمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المقدمة العاشرة]، من مقدماته العشر لكتابه النفيس العظيم كتاب [التحرير والتنوير]، قد أفرد المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن، لذلك هي مقدمة عالية اللغة والأسلوب، ونفيسة جداً، وممكن أن يُستفاد منها.
- ٤- أمّا المتخصص والذي يمكن أن يعرف الغث من الثمين، فيإمكانه أن يطالع على تلك الكتب التي أشرنا إليها قبل قليل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.